كيف ستؤثر العقوبات الغربية على روسيا وأوروبا؟

(مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مجلس الوزراء، مارس 2022)

د. نورهان الشيخ*

على خلفية الأزمة الأوكرانية فرضت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى، ومعهم كندا واستراليا واليابان وكوريا الجنوبية، مجموعة من العقوبات على روسيا، لم يسبق لها مثيل حتى فى زمن الحرب الباردة، بهدف الضغط علي موسكو لوقف عمليتها العسكرية فى أوكرانيا. وقد تضمنت العقوبات حزمتين، اقتصادية وثقافية، فى استهداف واضح ليس فقط للاقتصاد الروسى، ولكن الروح المعنوية العامة فى الداخل الروسى. ورغم أهمية الأخيرة حيث شملت الرياضيين الروس ورموز الأدب والفن الروسى، ووقف بث القنوات التليفزيونية والمنصات الإخبارية الروسية، إلا إن العقوبات الاقتصادية تظل هى الأكثر إيلاماً.

لعل أكثرها تأثيرا تجميد ألمانيا منح تصاريح لخط "نورد ستريم2" الروسي لتصدير الغاز إلى أوروبا، وإقصاء روسيا عن نظام سويفت الذي يسمح بتحويل الأموال بين الدول المختلفة، وتجميد أصول مملوكة للبنك المركزي الروسي وبنوك روسية للحد من إمكانية وصول روسيا لمواردها المالية بالخارج، ومنع الشركات والحكومة الروسية من الحصول على أموال من الأسواق الأمريكية والأوروبية، وتتبع الأصول الروسية والعمل على تجميدها، سواء كانت مملوكة لأشخاص أو شركات. وتعليق تراخيص التصدير للسلع التي يمكن استخدامها في أغراض مدنية وعسكرية، ووقف تصدير السلع ذات التقنية العالية، ومعدات تكرير النفط لروسيا. وهى بذلك تستهدف 70% من البنوك الروسية أى حوالى 600 بنك، و70% من الأسواق المالية الروسية والشركات الكبرى المملوكة للدولة بما فيها الشركات المملوكة لوزارة الدفاع إلى جانب قطاع الطاقة الروسى الذى يعد العمود الفقرى للاقتصاد الروسى. كما إنها المرة الأولى التي يتم فيها فرض عقوبات على البنك المركزي لإحدى دول مجموعة العشرين الكبرى.

---

* أستاذ العلاقات الدولية، جامعة القاهرة.

يضاف إلى هذا، إغلاق 36 دولة أوربية والولايات المتحدة وكندا مجالها الجوي أمام روسيا، وفرض عقوبات على مسئولين وشخصيات روسية بارزة، منهم الرئيس فلاديمير بوتين ووزير الخارجية سيرجي لافروف، والمتحدث باسم الكرملين ديمتيرى بيسكوف، وعدد من رجال الأعمال الروس، وأكثر من 300 من البرلمانيين الروس.

التداعيات على روسيا:

العقوبات على هذا النحو تهدف إلى إحداث ركود اقتصادي، وفوضى في القطاع البنكي، وإثارة حالة من عدم الرضا وعدم الاستقرار فى روسيا. فى ضوء ذلك، من المتوقع أن ينخفض الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 2.6٪ عن التوقعات السابقة بحلول نهاية عام 2023، وهناك حالة من الارتباك فى التعاملات مع روسيا، كما انخفضت قيمة العملة الروسية (الروبل) مقابل الدولار بنسبة 41.50% ليصل إلى 119 روبل لكل دولار، وارتفعت معدلات التضخم إلى 20٪.

وتعمل روسيا جاهدة للتصدى لهذه العقوبات وتعزيز ما وُصف بأنه "دفاعات موسكو الاقتصادية"، وذلك منذ فرض عقوبات غربية ودولية عليها بعد ضمها شبه جزيرة القرم عام 2014. وتضمن هذا استمرار روسيا في تعزيز احتياطياتها من النقد الأجنبي للتخفيف من حدة العقوبات وتوفير السيولة في ظل الأزمة الاقتصادية الطاحنة المتوقعة، وامتصاص الصدمة الأولى للعقوبات. وقد بلغ احتياطي النقد الأجنبي لدى البنك المركزي الروسي 643.2 مليار دولار فى 18 فبراير من العام الجارى، وهو بذلك رابع أكبر احتياطي نقدي في العالم.[1]

كذلك اتخذت روسيا خطوات لتخفيف تداعيات استبعادها من نظام السويفت، إذ أنشأت موسكو نظام الدفع الخاص بها "إس بي إف إس" (SPFS)، ويشمل 400 مستخدم، وفقاً للبنك المركزي الروسي، ويتم من خلاله 20% من التحويلات المحلية. وأعلن حاكم بنك روسيا المركزى عن أن هذا النظام يمكن لجميع المتعاملين فى الداخل والخارج استعماله، وهو مرتبط بنظام البنوك فى الصين.[2] كما يمكن لروسيا إجراء التحويلات المالية باستخدام أنظمة أخرى، ومنها على سبيل المثال، نظام "كروس بوردر" الصيني للتحويلات المالية. ومع إعلان شركة "ماستركارد" و"شركة "فيزا" تعليق خدمات بطاقاتها البنكية في روسيا، بدأت البنوك الروسية فى الاعتماد على النظام

الصـيني للمـدفوعات "UnionPay" فـى إصـدار البطاقـات، وهـو نظـام معمـول بـه فـى 180 دولة.

وتعـول روسـيا كثيـراً علـى حصـاد تحركاتهـا علـى مـدى السـنوات الثمانيـة السـابقة فـى فضـائات اقتصـادية أوسـع فـى آسـيا والشـرق الأوسـط وأمريكـا اللاتينيـة وأفريقيـا، والتعامـل بـالعملات الوطنيـة مـع عـدد مـن شـركائها الاقتصـاديين وفـى مقـدمتهم الصـين والهنـد، والأطـر الاقتصـادية التـى تقودهـا مثـل الاتحـاد الأوراسـى ومجموعـة بـريكس للتخفيـف مـن وطأة العقوبات عليها.

كمـا أن الولايـات المتحـدة والـدول الأوروبيـة لـم تـتمكن مـن عـزل روسـيا بشـكل كامـل عـن نظـام سـويفت، نظـراً لأن هـذا الأمـر يترتـب عليـه عجـز الـدول الأوروبيـة عـن سـداد قيمـة الـواردات الروسـية مـن الغـاز والبتـرول والفحـم، ويجمـد مختلـف أوجـه التبـادل التجـاري الأوروبي مع موسكو الذي بلغت قيمته 269.5 مليار دولار عام 2020.

التداعيات على أوروبا:

تأمـل الولايـات المتحـدة والاتحـاد الأوروبـى أن تـؤدى العقوبـات إلـى انهيـار الاقتصـاد الروسـي، إلا إن الاقتصـاد الأوروبـى سيتضـرر أيضـاً. ففـى أرتـدادات مباشـرة للعقوبـات الأوروبيـة تكبـدت الشـركات الأوروبيـة خسـائر فادحـة مـن قـرار إغـلاق الأجـواء الأوروبيـة أمـام الطيـران الروسـى بعـد أن ردت روسـيا بالمثـل، وانخفضـت أسـهم معظـم شـركات الطيـران الأوروبيـة بنسـبة 6٪، وفقـاً لتقـديرات International Airlines Group، ووصـلت إلـى 32٪ فـى حالـة الطيـران الفنلنـدى Finnair، كمـا لـم يعـد بإمكـان الطـائرات الأوروبيـة الطيـران مباشـرة إلـى شـرق آسـيا ممـا أدى إلـى ارتفـاع تكـاليف الـرحلات المتوجهة إليها.

كـذلك شـهدت أسـعار المـواد الخـام ارتفاعـاً غيـر مسـبوق، وعلـى سـبيل المثـال، تجـاوز سـعر الألومنيـوم أثنـاء التـداول فـي بورصـة لنـدن للمعـادن رقـم قياسـي تـاريخي حيـث ارتفـع إلـى 3850 دولارا للطـن.[3] والأهـم ارتفـاع أسـعار الطاقـة لاسـيما الـنفط إلـى حـوالى 119 دولار للبرميـل لأول مـرة منـذ عـام 2008، وتضـاعفت أسـعار الغـاز لتصـل إلـى 2279 دولار لكـل ألـف متـر مكعـب. وتبلـغ الصـادرات الروسـية مـن الـنفط نحـو 7.4 مليـون برميـل يوميـاً يـذهب 27% منهـا إلـى دول الاتحـاد الاوروبـي و7% الـي السـوق الأمريكـي. فـي حـين يصـل معـدل اعتمـاد الاتحـاد الأوروبـي فـي مجملـه علـى الغـاز الطبيعـي الروسـي إلـى

40%، وفق تقديرات معهد أوكسفورد لدراسات الطاقة. كما تصل نسبة اعتماد دول الاتحاد الأوروبي على الصادرات الروسية من الفحم إلى ما يقرب من 47%، ولا توجد بدائل جاهزة يمكن أن تحل محل الصادرات الروسية في التوقيت الحالي للأزمة.

وقد أشار وزير الاقتصاد الألماني، روبرت هابيك، إن بلاده تتوقع أن تكون للعقوبات المفروضة على روسيا تداعيات كبيرة على الاقتصاد الألمانى، وأوضح أن لدى الشركات الألمانية نحو 20 مليار يورو من الاستثمارات في روسيا، إضافة إلى النقص في سلاسل الإمداد العالمية، حيث تحصل برلين على 50% من احتياجاتها من الغاز و55% من الفحم الحجرى و35% من احتياجاتها من النفط من روسيا.[4]

يضاف إلى هذا استمرار الأضرار القائمة على مدى ثمانية سنوات جراء حزم العقوبات المتتالية التى تم فرضها منذ عام 2014، والعقوبات الجوابية التى فرضتها موسكو وتضمنت حظر استيراد المواد الغذائية والمنتجات الزراعية من الدول الأوروبية التي انخرطت في العقوبات ضدها، وقدرتها وزارة التنمية الاقتصادية الروسية بنحو 100 مليار دولار خسائر للاتحاد الأوروبى خلال عامى 2014/ 2015 مقابل 25 مليار دولار خسائر لروسيا، وتعد الدول الأوروبية الزراعية التى كانت تتخذ من روسيا سوقاً أساسياً لها مثل فنلندا واليونان الأكثر تضرراً.

وفي تحليل أجرته وحدة المعلومات الاقتصادية (EIU)، البريطانية المستقلة، فإنه من المتوقع أن يتعرض نمو الاقتصاد العالمي لضربة كبيرة جراء الوضع المرتبط بأوكرانيا ولخسائر بما لا يقل عن 400 مليار دولار، وأن الدول الأوروبية ستكون الأكثر تعرضا للتأثر الاقتصادي. ومن المتوقع أن تتعرض دول أوروبا الشرقية الأكثر اعتمادا على التجارة الروسية، مثل ليتوانيا ولاتفيا، إلى ضربات شديدة. وخفضت الوحدة توقعاتها للنمو الأوروبى للعام 2022 إلى 2% بدلاً من 3.9%.

كذلك، حذر تقرير للمعهد الوطني للبحوث الاقتصادية والاجتماعية في المملكة المتحدة، من أن الاقتصاد العالمي قد يخسر ما يصل إلى تريليون دولار هذا العام جراء الصراع في أوكرانيا، وحذر التقرير من ارتفاع معدلات التضخم بنسبة 3% في العام الحالي نتيجة الأزمة في سلاسل التوريد التى تتعرض لمزيد من التصدع، وقد يصل متوسط معدل التضخم في المملكة المتحدة 7٪ هذا العام. وحث المعهد البنوك

المركزية على زيادة أسعار الفائدة "ببطء فقط أثناء تقييمها لتأثير المواجهة على الدخل الحقيقي[5]."

وحتى الولايات المتحدة سيطولها الضرر، صحيح أن حجم التجارة الأمريكية الروسية ليس بكبير حيث صدرت الولايات المتحدة ما قيمته 6.4 مليار دولار فقط إلى روسيا عام 2021، وفقًا لبيانات وزارة التجارة، مقارنة بـ 151 مليار دولار مع الصين، إلا إن ارتفاع أسعار النفط يلقى بأعباء على الاقتصاد والمواطن الأمريكى. كما أن العقوبات الجوابية من جانب موسكو قد تكون موجعة خاصة تلك المتعلقة بوقف التعاون فى مجال الفضاء. فقد أعلنت شركة "روسكوسموس" الفضائية الروسية إيقاف تصدير محركاتها لأمريكا ويتضمن ذلك محركات RD-180، التي ينطلق بها صاروخ "أطلس 5" كمحرك رئيسي، ومحرك RD-181، والذي تستخدمه المرحلة الأولى من صواريخ أنتاريس الأمريكية. كما أوقفت موسكو صيانة المحركات، ويشمل ذلك 24 محركًا من طراز RD-180، مما يعرقل كثيراً البرنامج الفضائى الأمريكى. كما أعلنت موسكو وقف التعاون مع بريطانيا الأمر الذى قد يسبب خسائر تقدر بحوالى 8 مليار دولار.[6] وكان الكونجرس الأمريكي قد أصدر قراراً عام 2014 يمنع استخدام محركات الصواريخ الروسية في الولايات المتحدة بعد عام 2019، إلا أنه تراجع عن القرار بسبب عدم قدرة الولايات المتحدة على إنتاج بدائل لهذه المحركات لاستخدامها في صواريخ "أطلس-5"، وسمح فيما بعد لشركة "United Launch Alliance" الأمريكية التي تصنع صواريخ "أطلس-5" أن تستورد 20 محركا من طراز "RD-180" من "إينيرجوماش" الروسية.[7]

إن الاعتماد المتبادل والترابط العضوى القائم بين الاقتصاد الروسى والأوروبى يجعل من الصعب إلحاق الضرر بالاقتصاد الروسى دون أن يمس هذا الضرر أوروبا، خاصة فى وقت مازالت فيه كل الاقتصادات فى حالة نقاهه وتعافى من تداعيات أزمة "كوفيد – 19" التى اعتصرت العالم أجمع، وعصفت بالاقتصادات الكبرى قبل الصغرى. من ناحية أخرى، تعتبر روسيا العقوبات بمثابة إعلان حرب ضدها، وتعمل جاهدة على تطوير نظم بديلة لتلك الغربية مع شركاؤها وفى مقدمتهم الصين، الأمر الذى قد يحدث تحولات هام باتجاه نظام اقتصادى عالمى جديد يفقد فيه نظام "بيريتون وودز" الأمريكى هيمنته المطلقة التى تمتع بها على مدار ما يقرب من ثمانية عقود.

[1] Наталья Карнова, Выстрел в голову: что будет с теми, кто тронет золотой запас России, Прайм,28 Февраля 2022, https://1prime.ru/exclusive/20220228/836196484.html

[2] Глава ВТБ Костин не ждет отключения России от SWIFT, Тинькофф, 19 декабря 2021, https://www.tinkoff.ru/invest/news/729752/

[3] Eric Onstad, Aluminium spikes to record after Russia sanctions stepped up, Reuters, February 28, 2022, https://www.reuters.com/markets/europe/lme-aluminium-nickel-gain-russian-supply-worries-intensify-2022-02-28/

[4] Germany warns against ban on energy imports from Russia, DW, 3.03.2022, https://www.dw.com/en/germany-warns-against-ban-on-energy-imports-from-russia/a-61002737https://www.dw.com/en/germany-warns-against-ban-on-energy-imports-from-russia/a-61002737

[5] Philip Aldrick, Ukraine Conflict May Knock $1 Trillion Off Global GDP, Bloomberg, 2 Mar 2022, https://www.bloombergquint.com/onweb/ukraine-conflict-may-knock-1-trillion-off-global-gdp

[6] Россия прекратила поставки ракетных двигателей в США, РИА Новости, 03.03.2022, https://ria.ru/20220303/postavki-1776235132.html

[7] Россия в 2021 году отправит в США последние ракетные двигатели РД-180, РИА Новости, 08.04.2021, https://ria.ru/20210408/dvigateli-1727294942.html